﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾﴾ [طه:124 - 125]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

ربْـطُ جـزاءِ مَـنِ اهـتـدى ببيان وعـيـدِ مَـن أعرضَ بالضَّنكِ والعماية

لمّا وعد اللّهُ تعالى من يتَّبِعُ الهدى، وأخبر عن حاله في معاشه ومعاده؛ أتبَعَهُ بالوعيدِ فيمن أعرَضَ، فقال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾، وبيَّن قولَهُ عند وقوع ذلك الوعيد عليه[1]، بحيث يكون منه الإعراضُ، ويتملَّكه الشُّحُّ، فتصبح معيشته ضنكًا، ونفسه مظلمةً، وقد قيل: (لا يعرض أحدكم عن ذكر ربِّه إلّا أظلمَ عليه وقتُهُ، وتشوَّشَ عليه رزقُهُ)[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَعْرَضَ﴾: أصلُ كلمةِ الإعراضِ من العرض، وهو الظُّهور والبروز، يقالُ: عرضَ الشَّيءُ، وعرض يعرُض ويعرِض عرضًا، أي: ظهر وبرز[3]، وقيل: أصلُها من العرض، وهو: خلاف الطُّول، يُقال: اعترضَ الطَّريق؛ إذا سار عرضًا، وسُمّي الرَّفض إعراضًا؛ لأنَّ الرّافض أظهر خلاف الشَّيء، أو لأنَّه كالواقف عرضًا في وجه الشَّيء[4]، والإعراض أيضًا: الصَّدُّ والتَّولّي والرَّفض، تقول: أعرض عنه، أي: صدَّ وتولَّى عنه، والمعرض: المتولّي، ويُطلق الإعراضُ بمعنى: الانصراف عن الشَّيء بالقلب، وضِدُّ الإعراضِ: الإقبالُ والانقياد والطّاعة[5]، والمقصودُ بالإعراضِ في الآية: الصَّدُّ والتَّوَلّي.

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 110، وأبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 393.
(2) النّسفيّ، مدارك التّنزيل وحقائق التّأويل: 2/ 388 (بتصرّف).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عرض).
(4) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (عرض).
(5) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (عرض).

2) ﴿مَعِيشَةً﴾: حياةً، يقال: عاشَ يعيش عَيْشًا، صارَ ذا حَياةٍ، فهُوَ عائِشٌ[1]، وأصلُ العيش يَدُلُّ على حَياةٍ وبَقاءٍ[2]، والعَيْشُ: المطعمُ والمشرَب، وما تكون به الحَياة، والمعيشةُ: اسمُ ما يعاش بِهِ[3]، والمعنى هُنا: حياة، وقد عاش الرَّجل معاشًا ومعيشًا، وكلٌّ واحد منهما يصلح أن يكون مصدرًا، وأن يكون اسمًا، مثل معابٍ ومعيبٍ، وممالٍ ومميلٍ، وأعاشه الله سبحانه عيشةً راضية، والمعيشةُ جمعُها معايشُ بلا همزٍ؛ إذا جمعْتَها على الأصل، وأصلُها معيشةٌ[4].

3) ﴿ضَنكًا﴾: (ضنك) أصْلٌ يدلُّ على ضيقٍ[5]، والضَّنكُ من المنازِلِ والأماكِنِ والمعايشِ: الشَّديدُ[6]، والضَّنك: الضّيق من كلِّ شيء، الذَّكرُ والأنثى فيه سواءٌ، ومعيشةٌ ضنكٌ: ضيِّقة، وكلُّ عيش من غير حلٍّ: ضنك، وإن كان واسعًا، وفي التَّنزيل: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ أي: غيرَ حلالٍ[7].

4) ﴿وَنَحْشُرُهُۥ﴾ ﴿حَشَرْتَنِى﴾: الحَشْرُ: الجَمعُ والسَّوْقُ، يُقال: حَشَرَ يَحْشُر - بالضَّمِّ - ، ويحْشِر - بالكَسْر - حَشْرًا؛ إذا جَمَعَ وساقَ، ومِنْهُ يَوْم المَحْشَرِ،[8] والحَشْرُ الجَمعُ مع السَّوقِ، وكلُّ جمعٍ حشرٌ[9]، وهذا المعنى عمومًا يدلُّ على الجمعِ من النَّواحي البعيدةِ إلى جهةِ المحشرِ، فيتضمَّنُ الجَمع مع السّوقِ في جهةٍ معيَّنةٍ، والمعنى هُنا: جمعتني للحساب بعد البعث من القبور.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يقولُ اللّه تعالى مبيِّنًا سوءَ عاقبةِ مَن أعرضَ عن ذكرِه وطاعتِه، ومَن تولّى عن كتابه، فلم يتدَبَّرْهُ، ولم يعمَلْ بما فيه: إنَّ له معيشةً ضَيِّقةً مُدَّةَ حياتِه في الدُّنيا، وبعدَ مَوتِه

(1) الخليل، العين، والفيومي، المصباح المنير: (عيش).
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (عيش).
(3) الأزهري، تهذيب اللُّغة: (عيش).
(4) الجوهريّ، الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية: (عيش).
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرّاغب، المفردات: (ضنك).
(6) ابن جرير، جامع البيان: 16/ 192، والسجستاني، غريب القرآن، ص: 313.
(7) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم: (الضّنك).
(8) الزَّبيدي، تاج العروس: (حشر).
(9) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (حشر).

في البَرزَخِ، وفي معادِه في الآخرةِ، فنسوقه إلى المحشر يوم القيامة فاقدَ البصرِ والحجَّة، فيقول هذا المعرِضُ عن الذِّكر: يا رَبِّ، لماذا حَشَرتَني اليوم أعمى، وقد كنتُ في الدُّنيا مُبصِرًا؟ وما الَّذي صيَّرني إلى ذلك[1]؟ ناسيًا أنَّ سوءَ عقباه إنَّما كانت بما قدَّمت يداه، وأنَّ اللّٰه يجازي مَن أساء بالعذاب، ولا يظلم ربُّك أحدًا.

بيانُ سوءِ عاقبةِ مَـن أعـرضَ عن ذكرِ الله وطاعتِه في الدُّنيا والآخرة

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ عطفِ الآية على سابقتها:

قولُه تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾ عطْفٌ على ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ﴾ قسيمٌ له، كأنَّه قال: ومَن لم يتَّبع، بل أعرض عن ذكري؛ فإنَّ له معيشةً ضنكًا[2]، فهو من باب عطْفِ المُقابل على مُقابلِه، لتكتملَ صورةُ أحوال النّاس في الهدى والضَّلال.

بيانُ أنَّ عَطْفَ المـقـابـل على مُقابله تتميمٌ لِـذِكْـرِ أحـوال الـنّـاس في اتِّباعهم للهدى

بديعُ المُقابلةِ في هذه الآية مع الآية الَّتي قبلها:

ذُكِرَ في الآية السّابقة الشَّقاءُ المنفيُّ في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْقَىٰ﴾، وهو شقاءُ الآخرة؛ لأنَّه إذا سلم من الضَّلال في الدُّنيا؛ سلم من الشَّقاء في الآخرة، ويدلُّ لهذا مُقابلةُ ضدِّه هُنا في قوله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾؛ إذ رتَّب على الإعراض عن هدي اللّٰه اختلالَ حاله في الدُّنيا والآخرة، فالمعيشةُ مُرادٌ بها مُدَّةُ الحياة[3]، فيتبادر لنا أنَّ جملة: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ جاءت لمُقابلة جملة: ﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾، وأنَّها هي الأخرى شاملةٌ للدُّنيا والآخرة، من حيثُ إنَّ الَّذي يعرض عن ذكر اللّٰه ودينه الحقِّ يفقد أسبابَ تلك العصمةِ، ويتعرَّض لسوء الحياة ونكدها في الدُّنيا والآخرة معًا[4].

(1) السَّعدي، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 516، ومجموعة من العلماء، المختصر، ص: 320.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 447.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 16/ 331.
(4) محمد دروزة، التَّفسير الحديث: 3/ 213.

سِرُّ التَّعبير بالاسم الموصول ودلالته:

إفـــادةُ عـمـوم الوعيد للكفّار والـــعُـــصـــاة بـــحـــســـب معاصيهم

قولهُ تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾ يَشْمَلُ الكافرَ، وله منها حقُّ الوعيدِ، ويَشملُ المؤمِنَ المرتكِبَ الكبيرة، وله نصيبٌ مِن ضَنْكِ العيشِ، بقَدْرِ إعراضِه عن الذِّكْرِ، ومذهَبُ أهلِ السُّنَّة أنَّ الشَّخْصَ الواحِدَ، تَجتَمِعُ فيه الحَسَناتُ والسيِّئاتُ، فيستَحِقُّ الثَّوابَ والعِقابَ جَميعًا[1].

سِرُّ التَّعبيرِ عن الإعراض عن الهدى بالإعراض عن الذِّكر:

الـهـدى المُـنـزَّل تـذكـيرٌ لـلـنّـاس وإنـــذار لـهـم رفـعًـا لـلـشُّـبـهـة والإلباس

عَبَّر النَّظمُ الكريم عن الإعراضِ عن الهدى المُنَزَّلِ بالإعراضِ عن ذِكْرِه؛ لأنَّ فيما أنزلَه مِن الهُدى تذكيرًا للإنسانِ، وإنذارًا له وتخويفًا[2]، ولا ريب أنَّ الإعراضَ عن ذكر الله تعالى هو قمَّة الجحود وغاية الكنود، وبه تشقى النَّفسُ، ويقسو القلب، وتنقطع عن الإنسان بوارق الأمل، ويحيط به القنوطُ من كلِّ جانب، وقد استعمل السّياق الإعراضَ عن الذِّكر؛ تعبيرًا عن الإعراض عن الهدى، وهما موصولان من حيث إنَّ الهدى غاية، وإنَّ الذِّكر وسيلةٌ، ولا يتأتّى ذاك بغير ذلك، فمن واظب على الذِّكر آناء اللَّيل وأطراف النَّهار؛ وصل إلى معنى الهداية، ونال لذَّة اليقين في جنَّة القرب من الله ربِّ العالمين بكونه من المهتدين.

دلالةُ الحقيقةِ والمجاز في قوله: ﴿عَن ذِكْرِى﴾:

الاعـتـنـاءُ بشأن الذِّكرِ الدّالِّ على الـلـه والـدّاعـي لهداه

قولُهُ تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾ أي: الهدى الذّاكر لي، والدّاعي إليّ، أو عن ديني وتلاوة كتابي، والعمل بما فيه[3] بناء على تفسير الذِّكر بالقرآن، وكذا قولُهُ تعالى بعدُ: ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾ [طه: 126]، والمُختار العموم أن يقال: الذِّكْر يقع على القرآن،

(1) البعلي، مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية، ص: 189.
(2) ابن عثيمين، شرح مقدمة التفسير، ص: 36.
(3) القنوجي، فتح البيان: 4/ 380.

وعلى سائر الكتب الإلهيَّة، وكذا الآياتُ، تكون بمعنى الأدلَّة مُطلقًا، وقد فُسِّرَ الذكرُ أيضًا هنا بالهدى؛ لأنَّه سببُ ذكره تعالى وعبادته سبحانه، فأطلق المُسبَّبَ وأُريد سببُهُ من قبيل المجاز المُرسل؛ لوقوعه في المُقابلة، وما في الخبر من باب التَّنصيص على حكم أشرف الأفراد المدلول عليه بالعموم اعتناء بشأنه[1].

نكتة تقديم الجار والمجرور ﴿لَهُۥ﴾:

في تقديم الجار والمجرور ﴿لَهُۥ﴾ في قوله تعالى ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ إشارة إلى استحقاقهم المعيشة الضّنك الشديدة، واللام هي لام الاستحقاق التي تقع بين الذات والمعنى، والقصر المستفاد في هذا السياق هو من قبيل القصر الادّعائي الذي يفيد المبالغة، وليس من القصر الحقيقي الذي ينفي المعيشة الضنك عن غيرهم من الكافرين والمُلحدين والمنافقين نفاقًا عقديًّا.

المعيشة الضنك مستحقّة للمعرضين عن ذكر الله

فائدةُ تنكير لفظ ﴿مَعِيشَةً﴾:

تنكير لفظِ المعيشة للتحقير، ووصف المعيشة بأفظعِ وصفٍ، بالمصدر ليستوي فيه المذكَّرُ والمؤنَّث والجمع وغيره في قوله: ﴿ضَنكًا﴾[2]، وغرضُ التَّنكير هُنا التَّحقيرُ والتَّقليل لهذه المعيشة الَّتي توعَّد الله تعالى بها هؤلاء المُعرضين عن ذكره.

بلاغةُ الاستعارةِ التَّصريحيَّة في التَّعبير بالضَّنك:

استخدامُ النظم الكريم كلمةَ ﴿ضَنكًا﴾ في قوله تعالى: ﴿مَعِيشَةً ضَنكًا﴾؛ لوصفِ حياة تاركِ الذِّكر، وأصل الضَّنكِ في اللُّغة: الضّيق، يُقال: مكانٌ ضَنْكٌ، أي: ضَيّقٌ[3]، ويُستعملُ مَجازًا في عَسْرِ الأمور في الحياة، وهو هنا على سبيل الاستعارةِ التصريحيَّة، والمعنى: أنَّ مجامع همِّ المُعرض عن ذكرِ الله، ومطامح نظرِه، تكون إلى التَّحيُّل في

ذِكرُ الله سعادةٌ وتألُّقٌ، وهجْرُ ذكره ضنكٌ وتمزُّقٌ

(1) الآلوسي، روح المعاني: 8/ 584.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 362.
(3) ابن منظور، لسان العرب: (ضنك).

إيجاد الأسبابِ والوسائل لمطالبهِ، فهو متهالكٌ على الازدياد، خائفٌ على الانتقاص، غيرُ مُلتفت إلى الكمالات، ولا مأنوسٍ بما يسعى إليه من الفضائل، يجعلهُ اللّه في تلك الحالة، وهو لا يشعرُ، وبعضُهم يبدو للنّاس في حالة حسنةٍ ورفاهيَّة عيشٍ، ولكنَّ نفسَهُ غيرُ مُطمئنَّةٍ، جعل اللّه عقابَهُ يوم الحشر أن يكون أعمَى تمثيلًا لحالته الحسيَّة يومئذٍ، بحالته المعنويَّة في الدُّنيا، وهي حالةُ عدمِ النَّظر في وسائل الهدى والنَّجاة، وذلك العمى عنوانٌ على غضبِ اللّه عليه، وإقصائه عن رحمته، فلفظ: ﴿أَعْمَىٰ﴾ الأوَّلُ مجازٌ، ولفظ ﴿أَعْمَىٰ﴾ الثّاني حقيقةٌ[1].

بلاغةُ المصدر ﴿ضَنكًا﴾ باعتباره لفظًا فريدًا:

بيانُ كونِ المعيشة وبالًا عليه في الدُّنيا، وزيادةً في عذابه يوم القيامة

وصف معيشة الكافر بالضَّنك؛ لأنَّها وبالٌ عليه وزيادةٌ في عذابه يوم القيامة؛ كما دلَّت عليه الآيات[2]، فالمرادُ من كونها ضنكًا أنَّها سببٌ للضَّنك يوم القيامة، فيكون وصفُها بالضَّنك للمبالغة، كأنَّها نفسُ الضَّنك[3].

علَّةُ فصلِ الجملة في افتتاح الآية:

بيانُ ما يقوله المعرضُ عن طاعةِ الله يوم القيامة

فصل النظمُ الكريم قولَهُ: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ﴾ عمّا قبلَهُ، وهو كلام مُستأنَفٌ استئنافًا ابتدائيًّا[4]، وهو استئنافٌ مسوقٌ لبيان ما يقوله ذلك المعرض عن طاعة اللّه يوم القيامة، أي: قال ذلك الكافر الَّذي حشره اللّه تعالى يوم القيامة أعمى: (يا ربِّ لماذا حشرتني على هذه الحال؟)[5].

سِرُّ التَّعبير بالفعل الماضي ﴿قَالَ﴾:

جاء في هذه العبارةِ استعمالُ الفعل الماضي ﴿قَالَ﴾؛ للدَّلالة على

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 16/ 331.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 585.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 447، والآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 585.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 16/ 332.
(5) الطَّنطاوي، التَّفسير الوسيط: 9/ 165.

الإبانةُ عن تحقُّق الوقوع للوعيد المهين للكفرة يوم الدّين

تحقُّق الوقوع يوم الدّين، وفي سياق الآية تعبيرٌ عن الحوار الَّذي نُقِل إلينا من وراء حُجُبِ الغيب بصيغة الماضي، مع أنَّه حوارٌ مستقبليٌّ محضٌ، سيكون يوم يُدَعُّ المشركُون إلى نار جهنَّمَ دعًّا، فيُقذَفون في العذاب، وقد حصل لهم ما كانوا به يكذِّبون، فيجدون أنفسَهم في ضنكٍ وعمًى وعسرةٍ.

بلاغةُ نداء الرَّبِّ تعالى بالرُّبوبيَّة:

الاستعطافُ بذكر الرُّبوبيَّة الدّالَّة على سوابغ النِّعم ولطائف المنن

قوله: ﴿رَبِّ﴾، أي: أيُّها المحسن إليَّ، المسبغ نعمه عليَّ، فنادى بقوله تعالى: ﴿رَبِّ﴾، مُعترِفًا بأنَّه خالقُهُ وبارِئُهُ المُحسن إليه، ذاكرًا النِّعمة السّابقة استعطافًا؛ لأنَّ من شأن مُسلفِ نعمةٍ أن يربّيها، وإن قصَّر المنعم عليه، وغاية ذلك إنَّما يكون مهما بقي للصُّلح مَوضع[1].

دلالةُ الاستفهام في الآية:

بيانُ جهلِ من أعرضَ عن سببِ ما آلَ إليه حالُهُ

في عرصات يوم القيامة يسأل المُعرض ربَّهُ عاجزًا عن الدِّفاع قائلًا: ﴿لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ﴾؟ وقد عميتُ عن الدَّليل، ولم أعرف وجهَهُ مع أنَّني كنتُ في الدُّنيا أبصرُ القولَ ومراميه، وأجادلُ وأخاصم، وأنازلُ وأقاومُ، والآن أنا مستسلمٌ لمن يقودني كالأعمى[2]، فسألَ العبدُ ربَّه عن السَّببِ الَّذي استحقَّ به أن يُحشرَ أعمى، بقوله: ﴿لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ﴾؟[3] فهذا سؤالٌ من العبد لربِّه أن يُعْلِمَهُ الجُرمَ الَّذي استحقَّ ذلك عليه؛ لأنَّه جهله، وظنَّ أنه لا ذنبَ عليه[4].

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 363، ومحمّد أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 9/ 4806.
(2) محمّد أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4806.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 395.
(4) مكي، الهداية إلى بلوغ النّهاية: 7/ 4714.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والثلاثون،
سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 32 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-74-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 32 : المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-74-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4565158 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»